

## الدين والإسلام مصدر رئيسي في بناء الحضارة وتقدمها

**Religion and Islam are a major source of civilization and its advancement**

الباحث/ حمودة أحمد إسماعيل محمد

**ملخص البحث**

إن الإسلام بدعوته يريد للإنسان ألا يبقى أنانياً ، إذ بقاؤه أنانياً هو بقاؤه في مرحلة الطفولة البشرية ... يريد له أن يكون إجتماعياً، إذا صيرورته إلي كائن إجتماعي يجعله ذا رشد في إنسانيته .

إن دعوته الإسلام (محاولة لنقل الإنسان من دائرة التصرف الغريزي إلي دائرة التصرف الإنساني ..) والغريزة تدعوا دائماً إلي الإحتفاظ بالذات والحرص علي الذات، وتركيز النظرة في محيط الذات – بينما التصرف الإنساني هو تصرف يمتد إلي ما وراء الذات، ويخرج بالنظرة من محيط الذات إلي محيط الأفراد .

وإذن فالمجتمع في قيامه ، وفي بنائه وفي بقائه سليماً قويا ... هو غاية الدعوة الإسلامية، فإن دعا الإسلام إلي الإحتفاظ بالحرمان، ونفر من الإعتداء علي ما للأفراد من نفس ومال وغرض ... فإنما يدعو إلي النظرة الإجتماعية والتخلص من النظرة الفرديه، وهي تلك النظرة التي تتصل بالذات وحدها دون غيرها .

**Abstract:**

Islam calls for unselfishness for human as if man is still selfish it means he is still in the childish stage. Wants him to be social.

Islam's call tends to transfer man from his sexual to human's behavior Humans behavior's point of view is comprehensive and calls for community leaving behind individuality.

The Religion of Islam depends on Keeping properties and never attack individuals. It also calls for social point and neglects individual one

Islam is the main source in building civilization and its development.

To sum up, our speech for religion civilization Islam urges man to think and respect its will With This has a good relation for Islam with human civilization

To sum up human civilization is resulted on human production and contraction in philosophy, law the state, society systems, arts literature, manners and behaviors.

If all previous are far from deviation and prejudice, it has a great development for establishing civilization.

To sum up our speech, man's worships and treatments aims at preventing him from deviation and this is in his from deviation and this is in his emotion, behavior and work in life.

Islam is considered the main source of human civilization and Islam is civilized religion as it urges man to produce in different civilization fields and all these express about civilization.

Man who has straight thinking emotions and behavior should aim at good and exploit all these things.

Religion basically calls for progress and we should agree that progress in humanity and avoid all which affects that progress means: Man should grow naturally to reach the stage which explain and means of development. Man should grow in all natural stages normally.

If man stands still in his growing in body, he will be unwariness for the human qualities.

**\* Islam's principles are depending on social side of man.**

- 1- Based on awareness (man's relation with other)
- 2- Transfer a wariness to behavior (Practical behavior depends on relations)

## مقدمة البحث

- إن الإسلام وحدة بياهي – وهو الذي حمل العرب رسالته إلي الكون- بأنه أول دين أدخل التوحيد إلي العالم، وهذا التوحيد هو سر سماحة الإسلام وبساطته، وهو أيضا سر قوته، فما أسهل إدراك بناء الإسلام، وهذه السهولة هي التي جعلته خاليا مما نراه في الديانات الأخرى من متناقضات وغوامض.
- فلا شئ في الإسلام أكثر وضوحا من أصول الاسلام القائلة، بوجود اله حتي وإن كان راعي غنم – أمي – يعيش عيشة البادية البسيطة، رايته يعرف جيدا ما يجب عليه أن يعتقد ويسرد لك أصول الاسلام في سهولة ويسر.
- عكس النصراني – وإن كان مثقفا واسع الإطلاع – فإنه لا يستطيع حديثا عن ذلك التثليث الغامض الذي لم تنفق علي مفهومه – حتي الآن – أي من المذاهب المسيحية التي لا يجمعها إلا الاسم فقط ، ولا الطوائف البالغة التي بلغ عددها في أحد المذاهب – الإنجيلي / البروتستانتني – 500 طائفة .
- **فهذا ميخائيل سرفيتوس** : طبيب إسباني ولد في أراجون 1509م، عن أخطاء هذا التالوث الذي تقوم عليه الديانة المسيحية، هبت عليه عاصفة عاتية من السخط، فهرب إلي فرنسا وعاش هناك باسم مستعار.
- فلما كشف يوحنا كالفين – أحد أشهر زعماء المذهب البروتستانتني / الإنجيلي – عن اسمه الحقيقي قبض عليه و أودع السجن في جينيف، وهناك أحرق حياً 1553 ومعه كتابه " **إعادة بناء المسيحية** "، الذي كان قد نسب فيه اكتشاف الدورة الدموية الصغرى لنفسه، التي سبقة في اكتشافها بثلاثة قرون ، العالم العربي ابن النفيس الذي قيل في مكانته العلمية : **" لم يوجد علي وجه الأرض قاطبه مثله ، ومنذ ابن سينا لم يوجد أحد في عظمته "**.
- ولقد ساعد الوضوح البالغ للإسلام ، وما أمر به من العدل والإحسان، علي إنتشاره بين الشعوب النصرانية ، كالمصريين الذين كانوا نصاري زمان حكم قياصره بيزنطة ( **الإمبراطورية الرومانية الشرقية – الإمبراطورية البيزنطية التي كانت تحكم من عاصمتها القسطنطينية اعتباراً من 395م**)، فصاروا مسلمين حين عرفوا بساطة الإسلام وسماحته .
- **فلما دخلت أوروبا عصر النهضة** : في منتصف القرن 15 م انتهجت منهاجا معاكسا، وهو المنهج العقلي البحث الذي يناهض الدين، وفي سبيل ذلك رفعت شعارها الأشهر : **" لا سلطان علي العقل إلا العقل "** ولذلك فقد عرفت الحضارة الغربية في طورها اليوناني : عقلانيه مجرده من الدين، وفي طور نهضتها الحديثة : عقلانيه مناهضة للدين .
- **لكن الحضارة الإسلامية**: تتميز بالعمق الديني فيها، فالدين والحضارة في الإسلام متلازمان لا ينفصلان، وصنوان لا يجور أحدهما علي الآخر، ولذلك فقد سلم الاسلام من الاباحه في الأخلاق ، التي انحدرت إليها الحضارة الغربية المعاصرة، حين أباحت الشذوذ الجنسي، بل تجاوزته لأكثر من ذلك حين قننته أكبر 10 دول أوروبية حديثة، وهي بداية النهاية لحضارة لا تقيم للدين اعتباراً، ولا لمنظومة القيم والأخلاق وزنا.
- ولقد علا شأن **"العقل المؤمن"** في الإسلام، بغير تعارض بين هدايات العقل وهدايات الدين، باعتبار أن العقل : هو وسيلة الإنسانية جمعاء للهدايه للإيمان بالله، فأصبح العقل المؤمن وسيلة للبرهان علي صدق الإسلام ، بل هو السبيل الأول، ومفتاح الايمان بالحق جل وعلا .
- ويصور لنا الأمر ، حجة الإسلام الإمام : أبو حامد الغزالي ( المتوفي 505هـ -1111م ) ، تصويرا مدهشاً، فيشبه لنا العقل بالبصر، والشرع بالضياء، فمن كان له عقل بلا شرع، فهو يبصر لكنه يسير في الضياء ، فلا قيمه عنده للشرع .
- ولقد توالفت علي قرون اسلامنا الحنيف ، نخب من الأئمة الأفذاذ، يؤكدون المعني الواضح في التشبيه المبدع الذي ساقه لنا حجة الإسلام – رضي الله عنه – فعندما تجاوز المسلمون حقبة التراجع الحضاري، وتبلورت مدرسة

الاحياء والتجديد، التي قادها صاحب الفضيلة الإمام : محمد عبده ( المتوفي 1323هـ - 1905م)، تالقت العقلانية الإسلامية المؤمنه، دون تأليه لعقل يغني عن الشرع، أو يفنل التناقض معه، ويؤكد المعني الذي ساقه إلينا حجه الإسلام:

**" لا قيمة للبصر بغير ضياء، ولا نفع في الضياء بغير البصر "**

- فلم يعرف الإسلام بذلك تناقضا بين العقل والنقل ، وكذلك الذي تبنته وانتهجته الكنيسة الكاثوليكية إبان سنوات حكمها الحالكة السواد للمجتمع الاوروبي ، كما سلم الإسلام من وصمة : عقلانية مجردة من الدين، كالتى تنتهجها الآن الحضارة الأوروبية المعاصرة. فالحمد لله حمد مباركا فيه، كما يجب ربنا ويرضى، علي نعمه الإسلام، وكفي بها نعمة.

- ولقد تبدلت تركيبة المجتمع الأوروبي حديثا، وتنبأ النابهون من علمائه بانتشار الإسلام في اوروبا ، وكثير المنصفون فيه من العلماء الأعلام ، فابدع د.جوستاف لوبون ، رائعته : "حضارة العرب"، كما أبداع د.مايكل هارت ، أنفس كتاب أوروبى حديث :

**"الخالدون مائه ، أعظمهم محمد "**

- وعلي درب الانصاف الغربي الحديث ، يقول عالم الاجتماع الإيرلندي الفذ : برنارد شو ( 1856 : 1950 ) ، عن رسول الله (صلي الله عليه وسلم ) :

**" إن محمد هو منقذ الإنسانية، وإنني أعتقد أن رجلا كمحمد، لو تسلم زمام الحكم في العالم كله اليوم، لتم له النجاح في حكمه ولقاده الي الخير، وحل مشكلاته حلا يكفل للعالم السلام والطمأنينة والسعادة المنشودة" ، كما راح د. برنارد شو يقول :**

**" لقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولا لديها اليوم ، ولقد بدأت اوروبا تعشق عقيدة محمد ، وان تحول اوروبا إلي الإسلام قد بدأ ، وفي القرون القادمة : قد تذهب وان تحول لأبعد من ذلك ، فتعرف بفائدة هذه العقيدة في حل مشكلاتها"**

- ولو أن الحضارة الإسلامية اليوم، قد انتظمت الحياة ، انتظام الحضارة الغربية السائدة في العالم الآن ، لتبدلت الانسانية غير الانسانية ، ولانهارت مبادئ لا نفع فيها، يؤمن بها الكثيرون في عالم اليوم، ولقامت في ربوع الكون مبادئ سامية، تكفل معالجة أزمات العالم ، علي هدي من القرآن الكريم ، وسنة نبي الإسلام ورسوله ( صلي الله عليه وسلم):

محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي - بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بت فر بن مالك - بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر - بن نزار بن معد بن عدنان بن أجدع بن أجدع بن يشجب بن نباط بن اسماعيل بن ابراهيم - عليهما السلام.

- ولو أن العالم استظل اليوم بحضارة الإسلام ، علي ضوء ما صورها القرآن الكريم، وبيئتها السنة الشريفة ، لتجنبنا الإنسانية الكثير مما ترزح تحته من أهوال الشقاء، لأن حضارة الإسلام، تخاطب القلب والعقل معا، وما كان في عهده ( صلي الله عليه وسلم) وفي الصدر الأول من الإسلام، ينهض دليلا علي ذلك.

## مفهوم الدين

مفهوم الحضارة في تطبيقها أن الحضارة هي بناء إنساني ، يرتفع فوق الأنانية وفوق البيئه الخاصة وفوق الشعب وفوق الجيل، ويعاصر الأزمان كلها ويلائم الناس جميعاً فيما لهم من معان وقيم إنسانية .

هناك صلة وثيقة بين مفهوم الحضارة وبين الدين ... علي معني ( أن الدين ذو أثر في قيام الحضارة وفي توجيهها، لأن الحضارة إنتاج إنساني والدين إيمان وعقيدة لدي الإنسان يتأثر وينفعل بما فيها يفكر وفيما يحدد علاقته بالآخرين وفيما يسلك).

مفهوم الدين : أهو أقوال العلماء به والشراح لرسالته ؟... أهو نظام تلتزم به جماعه دينيه معينه وتحاول أن تفرضه فرضاً علي الإنسان المؤمن دون أن يكون له شأن ورأي فيما يُقال ويؤمر به، ودون أن تكون له وقفة خاصة يقف عندها ليتدبر وليتروي حتي تكون طاعته عن علم واقتناع ؟؟

إن الدين ليس هذا ولا ذلك ... لأنه لو كان هذا أو ذلك لكان من صنع البشر، ولكن اعتباره عندئذ مقصوراً علي المؤولين والشارحين له، أو علي المخططين لنظامه، ولكن هذا الاعتبار مقصوراً ايضاً علي الجيل الذي نشأ فيه الشرح والتأويل، أو وضع فيه هذا النظام الخاص .

(إن الدين هو ما كان لله، وما كان عند الله ... ومفهوم الله ليس شخصاً وجد في زمن دون زمن، وتأثر بيئه دون بيئه آخري ... إنما مفهوم الله حقيقه أبدية خالده ترتفع فوق المستويات وتتجرد عما للكائنات جميعها من صفات ... هو الكمال المطلق في ذاته ) . وصفاته جل شأنه سبحانه وتعالى يقصر عقل الإنسان عن أن يحددها علي نحو ما هي عليه، وأن يصل إلي تصويرها في تعبيره وفي شرحه إلي واقع أمرها .

وهذه الحقيقه الأبدية الخالدة، وهذا الكمال المطلق، هو الذي نسب إليه الدين... يوحي به إلي من اصطفاه ويكلفه بتبليغه إلي الناس . والدين بعد ذلك هو ما أنزل من عند الله للناس جميعاً، وما طلب من الرسول إبلاغه إليهم حتي لا يكون علي الله حجه بعد الرسل .

وإذا كان الدين هو المنزل من عند الله الحقيقه الخالده الكامله كماً مطلقاً فلا يكون إلا صورة من هذا الكمال ، لا يشوهها نقص ،ولا يعترئها باطل ،ولا ينفذ إليها غرض يميز فريقاً عن فريق ويفصل بين جيل وجيل .

وإذا كان من مفهوم الدين ايضاً أنه ما يجب اتباعه بعد الإيمان به ، وتجب له الطاعه بعد التمسك به – وكانت قبل ذلك صورة من كمال الله جل شأنه- فاتباعه والسير علي هده يحقق حتماً الإستقامه في سلوك الإنسان المتبع المؤمن به ، وفي تفكيره وفي وجدانه، وفي صلته علي الآخرين معه – لأنه يستحيل أن يؤدي الكمال إلي نقص، كما يستحيل أن يستتبع الحق باطلاً.

إن بعض الناس ينكر وجود الله وبالتالي يرفض قبول الدين ... ولكن نقطه البدايه فيما يجب أن يفعل إزاء الدين هو أن يقتش في الدين من حيث هو دين ، فإن استبان أنه فوق مستوي الغايات الشخصية ، وفوق مستوي البيئات والأجيال والشعوب ... علي معني أن ما فيه من خطوط عامه ترسم الطريق المستقيم الصالح للإنسان ، ومن حيث طبيعته البشريه ، بغرض النظر عن الوقت الذي يعيش فيه، وعن الشعب الذي ينتمي إليه ، وعن البيئه التي يتأثر بها ... إن استبان ذلك وجب الوصول قطعاً بالمنطق الإنساني إلي أنه لم يكن من صنع إنسان معين . و إذا لم يكن من صنع إنسان معين ، فهو حقيقه منجرده فوق طبيعه الإنسان ، وتلك الحقيقه هي الله أو الكمال المطلق . وهنا يكون الإيمان بالله بعد بحث في الدين وقيمه . ولكن ليس الدين - كما ذكرنا - هو شرح العلماء المؤولين ، ولا صنع طائفه معينه من رجال ينتسبون إليه . وإنما هو الذي يسمو فوق ذلك ، ويتصل بتلك الحقيقه المجرده الخالده .

\* \* \*

مفهوم الدين إذن أنه هو ما أوحى به الناس من قبل الله لتحديد الطريق المستقيم لهدايتهم في سلوكهم، وفي تفكيرهم وفي علاقه بعضهم ببعض ... وهو ما يجب الإيمان به ، وما تجب الطاعه له . لا يقف مفهوم الدين عند حد العلم به ، وبما جاء فيه ، وإنما يجب أن يتجاوز العلم إلي الإيمان . والعلم والإيمان به إذن كلاهما عنصران ضروريان في حقيقه الدين ، وبالتالي في مفهومه ... والتلازم بين العلم والإيمان في مفهوم الدين هو الذي يجعله متفاعلاً مع مبادئه في السلوك وفي التفكير والوجدان .

(وبغير العلم ، أو بغير الإيمان ، يكون الدين خطراً علي حياة الإنسان ... فليس أشد علي الإنسان ضرراً وعلي من معه في مجتمعه من أن يكون المتصل بالدين جاهلاً به أو منافقاً لم يدخل الإيمان به قلبه بعد ) .

وأكثر المتشككين في قيمة الدين ، بل و أكثر المطالبين بإبعاده عن حياة الإنسان ، هم اولئك الذين عرفوا الدين من الجاهلين به ، أو من المنافقين الذين يتخذون الدين مدخلاً لمغانم يحصلونها في الحياه .

والإسلام كدين يوجب علي المؤمنين به دائماً - كي يكون للإسلام أثره الإيجابي في حياتهم، أو تفكيرهم أو في علاقات بعضهم ببعض - أن يرجعوا إلي مصدره الأصل إذا وجدت ظاهره في مجتمعهم تنبئ عن الخطر أو عن الضعف والوهن ، وهي في واقع أمرها تعود للإنسان المتصل بالدين قبل أن تعود إلي الدين نفسه فإذا قال الله تعالى :

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ) (النساء : 59)

فإنه يأمر بذلك ليرفع وسطاه الإنسان وليؤمن الطريق من أن يكون المشير إليه بعيداً عن الدين ، إما في فهمه ، أو في الإيمان به ... فالآية توجب الطاعة لله ، أي بكتاب الله ، و توجب الطاعة كذلك لرسوله ... وطاعة الرسول لأنه مبلغ لكتاب الله و وحي الله معصوم عن الخطأ .

فرسالته عندئذ تعبير صادق عما أوحى إليه و عما نزل في كتاب الله. وتوجب أخيراً الطاعة لأولي الأمر - وهم أصحاب العلم بكتاب الله وما دعا إليه الرسول عليه الصلاة والسلام، وهم الذين توفروا علي فهم كتاب الله وما نزل من الحق ... وطاعة هؤلاء واجبة فيما لا يخرج عن الكتاب وعن دعوة الرسول. وما جاء به الكتاب، ودعا إليه الرسول، لم يكن إلا هداية بالحق وتمسكاً به، ودعوة للوحده وعدم الفرقة وللقوة في جميع صورها ونبذ الضعف في جميع أشكاله ... فإن ترتب علي إفهام هؤلاء نزاع يهدده قوة المسلمين في وحدتهم وفي تماسكهم، فعلي المسلمين أن يعودوا رأساً إلي كتاب الله ، وإلي سنه رسوله، ويتجاوزوا أقول هؤلاء إلي ما نزل بالحق ودعا إليه الرسول . وهذا معني قول الله في هذه الآية :

( فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا )

( النساء : 59 )

\* \* \*

إذا كان الدين هو ما لله في كتابه ، وإذا كانت الغاية من الدين هي استقامه الإنسان - كل إنسان - في سلوكه وفي تفكيره وفي علاقته بالآخرين، فلا شك أن الإنسان صاحب الإيمان وبالتالي صاحب الإستقامه سيكون اسهامه في بناء الحضاره ليس اسهاماً قوياً فحسب ، وإنما إسهماً حضارياً صافياً يعبر عن الحضاره في أعلي صورها . وهنا يبرز السؤال التالي :  
ألك من مثل أو أمثلة تؤيد ما نقول . إن ذلك ما سنتناوله في حديثنا عن الإسلام كدين .

### الدين في حياة الإنسان

تطور الإنسان من حياه الغابه والغاب، إلي حياة القانون أو حياة المدنيه ... تطور من حياة القوة الماديه، وتحكيمها في فض الخصومات واستقرار الأوضاع إلي الالتجاء إلي القانون في الفصل في النزاع وتحديد العلاقات .

فالنقطة الأولى التي منها بدايه الحياه الإنسانية ، كانت الغلبة عن طريق العصبية في الأسرة والقبيلة والكثرة العديده في الجماعة. والنقطة التي تسود حياة اليوم هي موازين العقل الإنساني التي تمثلها فكرة القانون البشري، وبين هاتين النقطتين في تطور الحياه الإنسانية كان الدين، وكانت الفلسفة ... كل منهما مثل الدور الأول في فترة معينه في تاريخ الإنسانية، ولم يزل يمثل دوراً هاماً للآن .

انتهت مرحلة الغاب بسيطرة الدين، ثم نازعت الفلسفة سيادة الدين ، ثم قويض للقانون أن يشترك في الصراع بين الدين والفلسفة في توجيه الإنسان، وأصبحت في حياة الإنسان المعاصر ثلاثة اتجاهات ، تتنازع أولاً البقاء بينها، ثم يحاول

بالتالي كل واحد منها أن يسود في تقرير مصير الإنسان. أصبح الدين ، والفلسفة، والقانون ، ثلاثتهم جميعاً من المصادر التي يحارب بعضها بعضاً من أجل البقاء والسيادة. والفرق بينها يتركز في أن الدين ينسب إلي الله المعبود، بينما الفلسفة القانون كلاهما بعد من صنعة الإنسان .

أما غاية كل واحد من الثلاثة فلا تكاد تختلف عن غاية الآخر : فالدين يهدف إلي توضيح الطريق الذي يري فيه سلامة البشرية في التعايش معاً ... والفلسفة تحاول ذلك والقانون بدوره يقوم علي حفظ الأموال التي تراها الجماعة الخاصة، أو المجموعه الدوليه ، كفيله بصيانة التعايش المشترك والتعاون المثمر.

ولكل مصدر من هذه المصادر التوجيهية نفر خصص وقته وحياته لتوضيح القيمة الذاتية للمصدر الذي ينتسب إليه، علي اعتبار أنه وحده كفيل بالتوجيه السليم، وتحقيق الغايه المرجوة في حياة الإنسانية : للدين طائفة تبين مزاياه ، وللفلسفة طائفة وتوضح مزاياها، وللقانون طائفة تحرص علي بيان مزاياه في التوجيه العام .

### الدين قد يصبح فلسفة ... وقد يصبح قانوناً وتشريعاً :

فالدين قد يصبح فلسفة إذا حاول العقل الإنساني أن يبرر ويعلل مبادئه من الوجهة النظرية العقلية ... فليست الفلسفة إلا التعليل العقلي للموجود. فإذا علل الموجود من مبادئ الدين، فقد دخلت هذه المبادئ في نطاق العمل الفلسفي . وقد يصبح الدين أيضاً قانوناً إذا أخذ في تطبيق مبادئه علي أحداث الحياة، وسلوك الإنسان، و وصفت الأحداث أو وصف السلوك الإنساني بأنه يطابق تلك المبادئ .

وعندما يؤخذ في تطبيق مبادئ الدين علي أحداث الحياه وسلوك الإنسان، لا يكتفي في التطبيق بحكم مجرد عن التعليل ... بل لا بد من التفقه ، وشرح المبادئ نفسها، ثم شرح النوع الملائم وغير الملائم لها من أحداث الحياة وسلوك الإنسان، فهذا التفقه أو هذا الشرح هو القانون الذين ينتزع من الدين، أو صار الدين إليه.

والدين إذا أصبح فلسفة أرضي رجال العقل والفلسفة. وإذا أصبح قانوناً جذب إليه إليه رجال الفقه والقانون . ومع أنه يمكن أن يصبح فلسفة، فإنه لا يتحول إلي فلسفة كذلك التي أنشأها الإنسان بصنعة العقلية بادي ذي بدء . ومع أنه أيضاً يمكن أن يصبح قانوناً فإنه لا يتحول إلي قانون كهذا الذي شرعه الإنسان و وضعه بتقديره الخاص منذ البدايه . بل تبقى لفلسفة الدين وقانون الدين، وقانون الدين، خصائص الدين أو طابعه العام. وخصائص الدين أو طابعه العام، أنه موحى به من الله، وأن علي الإنسان أن يؤمن به وأن يطيعه في غير تردد، وفي غير شك ... عليه أن يرضي بع رضاً نفسياً ، وإن لم يدرك كل أسرارهِ وعلله ؛ لأنه من الله الذي يختلف عن الإنسان، وفوق الإنسان ... هو من صاحب الأمر، وصاحب الرعايه العامه، والذي لا يستطيع الإنسان أن يحدده ويدرك حقيقة ذاته عندما يتصوره .

والفلسفة قد تصبح عقيدة وقد يصبح القانون عقيدة أيضاً ... ولكن إذا أصبحت الفلسفة أو القانون عقيدة، فإنه لا يصير إلي طبيعة الدين السابقة، وإنما يصير إلي طبيعة التقليد أو العرف في الجماعة... لا يصير أحدهما إلي طبيعة الدين لأنه صنعة الإنسان، وسببكي كونه من فعل البشر مصاحباً له في صيرورته ... وإنما يصير فقط إلي طبيعة التقليد ، أو طبيعة العرف في الجماعة من حيث إنه واجب الاتباع ... فقد أصبح عندئذ من المتوارث والمألوف في الجماعة .

وإذن هناك فرق جوهري بين الدين من جانب ، والفلسفة والقانون من جانب آخر ... هناك في جانب الدين كونه من الله، وهنا في جانب الفلسفة أو القانون كون كل واحد منهما من الإنسان : أن يفعل الخير، كما ناشدت الفلسفة، أو استهدف القانون... فالفرق مع ذلك باق بين الدين من جانب، وبين الفلسفة والقانون من جانب آخر، إذ مطلوب الدين – وهو فعل الخير- قائم علي أنه من هدايه الله، بينما مطلوب الفلسفة أو القانون يرجع إلي أنه من تأمل الإنسان .

وهنا تنحصر الموازنه بين الله و الإنسان في تحديد الخير، ورسم طريقه وتحديد الجزاء الذي يناط بفعله أو تركه: ( والله باعتبار أنه رب الجميع، ومستغن عن الجميع، ومستعل علي الجميع - يحدد الخير بما فيه مصلحة الجميع، ويرسم طريقه، بما يكون ميسراً للجميع، ويحدد الجزاء علي فعله وتركه، بما يناسب في أثر هذا الخير في صالح الناس جميعاً، وبلتئم مع طبيعة أنفسهم الغاليه) .

وليس لله غرض، وليست له حاجة قريبة أو بعيدة في تحديد الخير الذي ينصح باتباعه، وكذلك لم يتأثر بأي مؤثر في هذا التحديد ... ولأنه يعلم طبيعة البشر حق العلم، فلا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء .

ويكون فيما يرسمه لطريق الخير، متفقاً تمام الاتفاق مع إمكانيات هذه الطبيعة ، كما يكون تحديد الجزاء ملائماً كل الملاءمة لنفع هذه الطبيعة من فعل الخير ، ونفعها أيضاً من تجنب الضرر الذي نهي عنه.

(أما الإنسان في فلسفته وتقنيته فهو محدود بالبيئة، ومحدود بالوراثة، وبنوع الثقافة ونوع المعرفة ...) فإنسان القرية غير إنسان المدينة في إدراكه للحياه وتعبيره عنها .

وإنسان الأسرة الصالحة غير إنسان الأسرة التي عاشت في الإنحراف و الإجرام، في تصور القيم الأخلاقيه والروابط الإجتماعية ... والإنسان الجاهل في تصوره واعتقاده، غير المستنير في إدراكه وفي إيمانه .

وإنسان المعرفة من نوع خاص غير إنسان المعرفة من نوع آخر... فالطبيب غير المهندس ، وكلاهما غير صاحب الثقافة الزراعيه ، وجميعهم غير رجل المحاسبة ، وهلم جزأ .

وإذا كان الإنسان محدوداً بهذه المصادر فهو منفعل بها، وتنعكس هي بالتالي في سلوكه، وفي تفكيره، وفي تحديده للحياة وأهدافها... هو وليد هذه العوامل الثلاثة.

فما يصدر عنه في أي جانب، في التصرف والسلوك، أو التفكير والحكم، يكون تبلوراً لهذه العوامل الثلاثة.

وعليه فالإنسان صاحب الفكر الفسفي في تحديد الخير : ما هو ؟ يتأثر بحياته الخاصة والعامه. وكذلك الشأن في رسم الطريق لتحصيل الخير... ومن هنا تجد بين الفلاسفة تحديداً متنوعه للخير، وكثير منها يناقض بعضه بعضاً، كما نجد رسمهم لطريق تحصيل الخير، لا يقل اختلافاً في التحديد، وعن تحديدهم الخير نفسه .

(نجد من بين الفلاسفة من يفهم الخير علي أنه ما لاعم المصلحة الشخصية). وتبعاً لذلك : الإنسان نفسه مقياس الخير. هذا الانسان الذي يري الخير في تحصيل المتعه البدنيه ... وإن صاحبها اغتصاب لما يملكه غيره، والاعتكاف عن ملذاتها و عما يتنافس فيه الناس من متعها.

فبمقدار ما يندفع الأول إلي تحصيل متع هذه الحياه، التي يراها متعاً من زاويه وجوده الشخصي بمقدار ما يقف الثاني موقفاً سلبياً من هذه المتع، والإنسان الأول هو الإنسان الشخصي أو الوجودي، والثاني هو الزاهد البرهمي أو(الصوفي).

(وبينما نجد بين الفلاسفة أيضاً من يحدد الخير، بأنه ما أصابت منفعته أكبر عدد ممكن من الناس وهو الفيلسوف المثالي، إذا بنا نجد فيلسوفاً آخر يحدد الخير، بأنه : ما أصابت منفعته الجماعه الخاصه به أو بأمته ، وهو الفيلسوف الواقعي).

(نجد من بين الفلاسفة من يري أن الغايه تبرر الوسيله)، فإن توقف تحصيل المنفعة علي الوشايه والمؤامرة، أو علي القتل جزافاً وجمله، أو انتهاك العرض، فالوسيلة مشروعه في نظر المستعمر الفرنسي، لأنها ستوصل إلي تمكين الاستعمار

هناك من استغلال ثروة البلاد الجزائرية الاقصاديه والبشرية ... فتمكن الاستعمار غايه، وهي غايه مشروعه لصالح الإستعمار الفرنسي ... فالوسيلة لهذا التمكين الاستعماري مشروعه كذلك بالتالي ... وتاخذ مشروعاتها من النفع

المتربق... وإذ نجد مثل هذا الميكيافيللي، نجد فيلسوفاً آخر ينصح بعمل الواجب لذات الواجب ... لعمل ما يجب علي الإنسان لصالح نفسه وصالح جماعته وصالح الإنسانيه، دون ترقيب جزاء عليه، و دون ترقيب ثناء دبي أو مكافأة مادية،

وهذا هو الفيلسوف الواجبي .

(تري من الفلاسفة من ينصح بإفناء الفرد في الجماعه ) فتكبت حرية الفرد، ويصادر ملكه، ويجبر علي تصرفه لصالح الجماعه التي هي الأمة ... فالحياء إذن للجماعه لا للأفراد، ثم نري في مقابل هذا فيلسوفاً آخر يري أن الجماعه يجب أن تكون في خدمة الفرد، فالفرد حرينه في التجاره، وفي الاقتناء، وفي إبداء الرأي، وفي العقيدة، وفي التمذهب بالمذهب الذي يراه في حياته ... له أن يعيش في ظل عرف المجتمع وعاداته، وله أن يخرج عن هذا العرف، وهذه العادات. وسيان بعد ذلك فقر غيره، أو شقوته، أو جرح عواطفه وإحساساته، والرأي الأول يعرف بالمذهب الإجماعي أو الإشتراكي، والثاني يعرف بمذهب الحريه الفرديه .

هذه أمثله لإختلاف الفكر الفلسفي، وإختلاف المذاهب الفلسفيه، ويرجع هذا الإختلاف إلي كون المفكر محدودا بحياته الخاصه الخاصه والعامه.

(وفي القانون لايفتلف الأمر عنه في الفلسفه ... لأن التقنين يقوم علي أسس وفكر فلسفيه ..) يقوم علي نظره المشرع (والمشرع هو الدوله في العصر الحديث) إلي الحياه . ونظرة الدوله إلي الحياه تختلف بإختلاف نظام الدوله نفسها :

هذه (دولة شيوعيه) لها قانون يحفظ الوضع الشيعي بين أفراد الأمة.

وهذه دوله رأسماليه لها قانون يصون الحريه الفرديه إلي أبعد حد في استخدام رأس المال، وهذه دوله اشتراكيه اجتماعيه لها قانون ودستور يحدد علاقه الأفراد بالدوله والدوله بالأفراد، علي أساس من الفكرة الاشتراكيه الاجتماعيه، وهي رعايه العدالة الاجتماعيه بين الطبقات. وهذه دوله ملكيه، يقوم قانونها علي صيانه العرش وتقديسه . وهذه دوله يقوم قانونها علي صيانه العرش وتقديسه . وهذه دوله جمهوريه يقوم قانونها علي تأكيد حقوق الأفراد في الوصول إلي رياسه الجمهوريه.

(هذه الجماعه يهوديه) يقوم قانونها علي رعايه التقاليد والعادات والمعتقدات اليهوديه في الأحوال الشخصيه وتحديد العطلات السنويه وأنواع المأكول والمشروب، والطريقه التي يتناول بها المأكول والمشرب ... إلي غير ذلك في الحياه العلميه .

(وهذه الجماعه مسيحيه، أو بوذييه، أو وثنيه، أو إسلاميه) لابد أن يتضمن قانون كل منها تقاليدھا الخاصه وعاداتھا، ومعتقداتھا التي لها وحدها.

وإذن سبب هذا الإختلاف في الدساتير والقوانين، هو كون الإنسان محدوداً كذلك ... ومن هنا نشأ في القانون ما يسمي بالقانون الخاص، وما يسمي بالقانون الدولي العام. والقانون الدولي مع ذلك يغلب عليه طابع التحيز للدوله القويه وعاداتھا وأهدافھا في الحياه .

وكذلك (المؤسسات الدوليه) كعصبة الأمم سابقاً، والأمم المتحدّه في حاضرنا، فإن قوانينها وإن اتسمت بالطابع الدولي العام، فإنها تقوم وتهدف إلي تحقيق غايات الدول الكبرى، وهي الدول القويه ... فعصبه الأمم كانت وسيله مشروعه من الوجهه القانونيه لتحقيق استعمار الدول الضعيفه أو الصغيره عن طريق الأمم الكبرى، وما جاء به قانونها مما عرف (الإنتداب) أو ( الوصايه) علي بلد ما لدوله كبريه، هو نموذج علمي علي تحقيق غايات الدول العظمي باسم القانون العام، وهذه الغايات استغلال واستغلال الدول الصغري لحساب الدول الكبرى... وهي انتقاص لحياه الشعوب الضعيفه لرفع مستوي حياه الشعوب القويه.

وهيئه الأمم المتحدّه القائمه ليست إلا صوره مكرره لعصبه الأمم السابقه في قانونها، وفي أهدافها ولذلك يوم أن رأّت بعض الدول الكبرى في الماضي القريب، أن مصالحها الاستعماريه لم تتحقق - لأن أغلبيه الدول الأعضاء في هذه الهيئه عارضت هذا الجشع الاستعماري - أعلنت أنها لم تعد صالحه للفصل في القضايا الدوليه، والمشكلات بين الشعوب. ويتجلي هذا في مشكله قناة السويس في نوفمبر 1956 م .



(ولأن الفلسفة نشأت عن محدودية الإنسان ؛ ولأن القانون نشأ علي هذا النحو أيضا - كانت الخصومة المذهبية طابعاً للفلسفة ، وكانت المفارقات الواضحة في القوانين الخاصة والتفسيرات المتباينة للقانون الدولي العام ، ظاهره مصاحبة للقانون الدولي العام، ظاهرة مصاحبة للقانون الوضعي).

يضم إلي هذه النتيجة - وهي أن الله غير وغير محدد فيما يوحي به لصالح البشرية وأن الإنسان علي عكس ذلك - شئ رئيسي آخر يلحق الفلسفة، ويلحق القانون، وهو أن من يتبع المذهب الفلسفي، أو من يجب عليه أن يطيع القانون (يسير في اتباعه، وفي طاعته، علي أساس أن ما يتبع وما يطاع هنا ليس إلا من صنعة البشر ومعني ذلك ليس فيها عصمه، وليس فيها تأكيد للحق أو العدل ... إن هو إلا ظن إنسان، قد أخلص فيما أتى به من صنعة فلسفية، أو قانونية، وهذا الشعور لدي التابع أو المطيع يؤدي إلي عدم التحمس في التزام التبعية و وجوب الطاعة ) ... أو يؤدي إلي توقيت التبعية، وتوقيت الطاعة.

ومن شأن هذا التوقيت، التراخي في السير نحو هدف المذهب الفلسفي، ونحو غايه القانون ... وبما أن هدف الفلسفة وغايه القانون، هي الحرص علي فعل الخير، ففعل الخير سيصير حتماً إلي التوقف كلما كثر التراخي في التبعية والطاعة ، إما للمذهب الفلسفي أو القانون :

1- (محدودية الإنسان إذن عيب في الفلسفة والقانون ).

2- (وصنعة الإنسان في الفلسفة والقانون أيضاً سبيل إلي عدم العصمه، وعدم العصمة سبيل إلي التراخي في التبعية والطاعة).

والنتيجة أن قوة الفلسفة ليست في ذاتها بل في تكرار الدعوة إليها ... وقوة القانون ليست في ذاته، وإنما في السلطة القائمة علي تنفيذه ..

أما الدين فقد خلا من هذين العيبين ... فالله بعيد عن المحدودية، وبعيد عن الخطأ، (فقيمة الدين إذن، بالنسبة إلي الفلسفة والقانون، قيمة ذاتيه ) .

ويوم يستحيل الدين إلي فلسفة أو قانون ... فهناك مكان لعودته إلي دين مجرد عن الفلسفة والقانون طالما مصدره الأصل مصون عن التحريف والتبديل... وعندئذ تبقي له قيمته الذاتية كدين، ومعني ذلك أن الخطر الذي يلحق الدين بصنعة الإنسان، يمكن أن يبعد عمد بإبعاد تلك الصنعة عن ان تأخذ قداسته وعصمته و أصوله .. وهناك شئ آخر، وراء عصمة الوحي في الدين و وراء (عدم محدودية الله في رسالته للبشر) مما يتميز به الدين عن الفلسفة والقانون .

هناك في الدين أيضاً ( ضمير الإنسان الذي ينشأ عن الخشية من الله ) ، وهو بمثابة السلطة التنفيذية للقانون ... ولكنها سلطة تنفيذه ذاتيه، وليست خارجه عن ذات الإنسان صاحب الضمير الديني.

أما المتبع للقانون فإنه يتبعه لسلطان الدولة المشرفة علي تنفيذه ... وعندئذ إذا خفت رقابة الدولة زال أثر القانون، وانكمش وجوده بالتالي. وهنا في دائرة القانون يحتاج الأمر إلي شئين معاً: إلي نص القانون، والسلطة التنفيذية، بينما في دائرة الدين يتوقف الأمر كله علي الإنسان المعتقد وحده .

أما الفلسفة فلأنها لا تصحب برقابة خارجية، ولا تكون ضميراً ورقابة داخلية، فنشأتها في الحياة العملية أهون من القانون وأخف ... ومن ثم تكون أشد هواناً في مواجهة الدين .

هذا حديث عن الدين، والفلسفة، والقانون في حياة الإنسان بوجه عام... ومنه يتبين أن الدين له مكانته الأولى في حياة الإنسان، وفي توجيهه ... إنه مصدر توجيه لا يخضع لنقص (التحديد) ولا لاحتمال (الخطأ) ولا إلي وجود سلطة تنفيذيه، ورقابتها المباشرة، ولذلك يقول الشيخ محمد عبده : ( فالناس منفقون علي أن من الأعمال ما هو نافع، ومنها ما هو ضار،

وبعبارة أخرى منها ما هو حسن، ومنها ما هو قبيح ... ومن عقلائهم، وأهل النظر الصحيح والمزاج المعتدل فيهم، من يمكنه إصابه وجه الحق في معرفة ذلك، ومتفقون كذلك علي أن الحسن ما كان أودم فائدة، وإن كان مؤلماً في الحال، وأن القبيح ما جر إلي فساد في النظام الخاص بالشخص، أو الشامل له ولمن يتصل به، وإن عظمت لذته الحاضرة... ولكنهم يختلفون في النظر إلي كل عمل بعينه، اختلافهم في أمزجتهم، وسجيتهم ومناشئهم، وجميع ما يكتنف بهم ... فلذلك ضربوا إلي الشر في كل وجه ، وكل ما يظن أنه: إنما يطلب نافعاً ... فالعقل البشري وحده، ليس في استطاعته أن يبلغ لصاحبه ما فيه سعادته في هذه الناحية.

(لهذا كله كان العقل البشري محتاجاً في قيادة القوة الإدراكية، والبدنية، إلي ما هو خير له في الحياتين ... إلي معين ... وذلك المعين هو النبي).

ويقول كذلك في شأن الأمم :

" العقل وحده - في القانون - لا يستقل بالوصول إلي ما فيه سعادة الأمم، بدون مرشد إلهي ... كما لا يستقل الحيوان في درك جميع المحسوسات بحاسة البصر وحدها، بل لابد معها من السمع لإدراك المسموعات مثلاً... كذلك الدين هو حاسة عامة لكشف ما يشتبه علي العقل من وسائل السعادات... والعقل هو صاحب السلطان في معرفة تلك الحاسة، وتصريفها فيما منحت لأجله، والإذعان لما تكشف له من معتقدات، وحدث أعمال "

### فضل الإسلام كدين:

فاذا انتقل الحديث بعد ذلك من الدين عامة إلي الإسلام، فضرورة الدين في حياة الإنسان ستكون أشد وأقوي ... إذ الإسلام - كما يعرف من القرآن والسنة الصحيحة - يتضمن العقيدة والإيمان، كما يتضمن التشريع، للتهديب والمعاملات. وكل هذه الأنواع ليس بعضها متولداً عن بعض، بصنعه الإنسان، وإنما كلها وحي منزل ... وكلها مجتمعة تهدف إلي غاية واحدة : إلي التوازن، إلي الاستقامة، إلي (الإعتدال) .

### 1- في العقيدة :

( فعقيدة التوحيد هي المثل للتوازن ، والاستقامة، والاعتدال): إذ كون المعبود واحداً، كعقيدة، يوحي بان الوحدة منشودة، وهي الغاية الأخيرة في الإسلام، وفي هذا يقول الشيخ محمد عبدة : " أما اعتقاد الجميع بإله واحد فهو توحيد لمنازع النفوس إلي سلطان واحد، يخضع الجميع لحكمه، وفي ذلك أخوتهم، وقاعدة سعادتهم، وإليها مآلهم فيما اعتقدوا وإن طال الزمن.

أ- وهي بدورها توحيد بالوحدة في ذات الإنسان .

ب- وبالوحدة في علاقة الإنسان بالإنسان : في الأسرة، والمجتمع، وفي مجتمع إسلامي مجتمع آخر.

وللوحدة في ذات الإنسان منهج مرسوم ... وتشريع التهذيب أو العبادات هو سبيل وحدة الإنسان، وللوحدة في العلاقات بين الأفراد والمجتمعات منهج مرسوم كذلك ... وتشريع المعاملات هو سبيل وحدة العلاقات:

يقول الله لرسوله الكريم:

( قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1)اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4) ) (الإخلاص:1إلي4)

ومعني ذلك: الله المعبود واحد ، وهو الرب والسيد، و وحدته وحده خالصة فلم يأت عن طريق غيره ( فلم يولد) ولم يكن غير عنه يشبهه ، (فلم يلد) ولذا فليس هناك معادل له في الوجود (فلم يكن له كفوا احد) .

وبهذه السورة القصيرة تحددت وحدانية الله، بالوحدانية الخالصة عن المثل والشبيه، ثم لأن المعبود هو من يتجه إليه الإنسان في حياته - كانت هذه الوحدة الخالصة هي غايه الإنسان في سعيه في الحياة وفي سلوكه فيها.

علي الإنسان إذن أن يحمل نفسه علي الوحدة، وعليه أن يسلك طبقاً لهذه الوحدة التي تحققت بسعيه ... فإن لم يسع نحو هذه الوحدة، لم يدرك في عبادته وحده الله جل شأنه ... وإن سلم سلوكاً متضارباً في حياته ، كان تضاربه في سلوكه أمانة علي أنه لم يحقق الوحدة في نفسه .

وكذلك الشأن في علاقته بغيره ... وعليه أن يسعى لتقريب ( الإثنية ) بين نفسه و غيره، إلي وحدة، أو إلي ما يقرب إلي الوحدة علي سبيل الحقيقة .

وكذلك سلوكه مع غيره يجب أن ينبئ عن هذا التقريب بين (إثنيه) نفسه مع غيره .

فإن لم يسع في دائرة العلاقات مع غيره نحو تقريب هذه العلاقات نحو الوحدة، لم يدرك في سعيه في هذه الدائرة وحدة الله تعالي وإن سلك سلوكاً متضارباً فيها، كان تضاربه في هذا السلوك أمانة علي أنه لم يصل إلي ما يقرب من الوحدة في علاقته بغيره .

وإذن هدف العبادات في الإسلام تحصيل الوحدة في ذات الإنسان وجعل السلوك طبقاً لها ... وهدف المعاملات في الإسلام محاولة تقريب العلاقات بين (الإثنين) إلي وحدة، وتكوين السلوك وفقاً لهذا التقريب .

## 2- في العبادات

والإنسان بحكم تكوينه موزع بين أمرين متقابلين وهو لذلك له اتجاهان في الحياة: أحد هذين الاتجاهين يصدر عن النفس الأمانة بالسوء، والاتجاه الأول يصدر عن النفس الأمانة بالسوء، والاتجاه الثاني يصدر عن النفس مطمئنة ، أما النفس الأمانة بالسوء فهي التي تميل بالإنسان إلي أن يكون صاحب غرض وهوي، وصاحب شهوة خاصة، ... وأما النفس الأخرى مطمئنة فهي التي تميل بالإنسان إلي أن يكون صاحب (عدل) توازن واستقامة، ( وجاء الإسلام بالعبادات: جاء بالصلاة، و الزكاة، والصوم، والحج، كي يكون الإنسان صاحب اتجاه واحد، كي يكون صاحب نفس مطمئنة راضيه، كي يكون صاحب توازن، وعدل، واستقامة).

\* \* \*

جاء الإسلام (بالصلاة) - وهي أن يتجه الإنسان في خشوع نحو الله ونحو جلاله، وأن يناجي هذا الجلال بقوله : الله أكبر- ليحصل في الإنسان قيمة الوجود كله وقيمه عندئذ: أن شيئاً واحداً فيه كله له العظمة والجلال، وأن ما عداه تضحل قيمته وتضاعل ... فإذا ثبتت هذه القيمة في نفس المصلي، بعد أن يدرك هذه القيمة، أن تميل نفسه وتحرضة علي تحصيل شئ في الوجود دون الله، وليست النفس الأمانة بالسوء، إلا تلك النفس التي تخضع الإنسان إلي غير الله في الوجود، وهي لا تبعد عندئذ عن الشيطان ، في الهدف والغاية.

وإذن (الصلاة) عبادة قصد بها أن تكون نفس المصلي نفساً مطمئنة، وقصد بها أن يكون الإنسان صاحب إتجاه واحد، وعندئذ تتحقق وحدة الإنسان ، ويرتفع فوق التردد بين النفسين .

وجاء الإسلام (بالزكاة) ليسعي المزكي عن طريق زكاته، كعبادة فيها قربي إلي الله، نحو اتجاه المعطي المانع ... وبذلك يكبت الإتجاه الآخر في الإنسان وهو اتجاه الاستيلاء، والطمع، والجشع ... وهنا أيضاً تكون الزكاة عبادة لتحصيل وحدة الإنسان، بدلاً من توزيعه وترددة، أو بدلاً من أن يتردي في ذلك الإتجاه الآخر، الذي يبعده عن السمو والتشبيه بالله في منحه وعطائه، وهو اتجاه الترددي في الطمع والجشع .

\* \* \*

وجاء الإسلام (بالصوم) ... والصوم ليس فقط تقريراً لجلال الله والامتثال له ، وليس فقط متضمناً أيضاً عدم الحرص علي الإستيلاء والأخذ، لأنه يقوم علي الإمساك والترك - هو ليس فقط هذا وذاك، وإنما هو كبت لذات الإنسان، وحرمان لهذه

الذات، طواعية لامثال أمر الله ، والحرمان فيه أكثر من المنح والعطاء... كما في الزكاة؛ لأن المانح والمعطي لا يستلزم أن يحرم ذاته، ولكن إذا حرم ذاته تجاوز عندئذ حد المانع المعطي.

وإذن عبادة (الصوم) فيها امتثال لله، وذلك إقرار بوجوده وبقيمته للاستيلاء وهو الحرمان... والاستيلاء أخذ، والحرمان ترك، والصوم لذلك خطوة أخرى في توجيه الإنسان وسعيه نحو وحدة ذاته، نحو تحصيل النفس مطمئنة، التي لا تخضع لما عدا السمو، والتشبيه .

وجاء الإسلام (بالحج) وفي الحج عود بالإنسان إلي حالته الطبيعية، فيما ترك، وفيما منح معاً، فيه ترك للمظاهر الزائدة علي طبيعته الإنسانيه، وفيه منح عن طريق الأضحية... وبذلك تصب عبادة الحج في نفس الغاية التي تهدف إليها عبادات: الصلاة، الزكاة، والصوم.

\* \* \*

فإذا تحقق للإنسان إتجاه واحد، كان سلوكه سلوكاً متزناً مستقيماً معتدلاً؛ لأنه لا يتأرجح عندئذ بين شئنين مقابلين... ر يلبس اليوم وجهاً، وغداً، وجهاً آخر، فهو مستقيم إذا ولا يفعل اليوم هذا، ويفعل نقيضه غداً، فهو متزن إذن، ولا يخضع الآن يمنة ثم في آونة أخرى يجنح يسرة فهو معتدل إذن، وإعتداله واتزانه واستقامته، تدل علي أنه أصبح واحداً وبذلك تأثر في حياته بعبادته لله الواحد، وأمرة الإعتدال، والاتزان والاستقامة في السلوك والتصرف أن يكون مصداقاً لقوله تعالى :

(وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ )

(القصص:77)

فإذا سار الإنسان في سلوكه وفق وصايا الآية القرآنية فإنه لاشك يكون معتدلاً ومتزناً ومستقيماً.

فإذا سعي الإنسان في حياته لأخذ نصيبه من الدنيا - لا لأخذ الدنيا كلها - وفي الوقت نفسه قصد وجه الله فيما حصله من الدنيا، فأحسن إلي غيره كما أحسن الله إليه، ولم يقصد إلي العبث والفساد فيما تفضل الله به عليه، كان معتدلاً متزناً ومستقيماً... لم يتواكل، فحصل حظه من نعم الحياه، ولم يغتر ويفرح بما حصله من هذه النعم، فلم يتخذ هذه النعم وسيله للعبث في حياته الخاصة وحياة جماعته العامه، لم يرتبب إثماً ولا محرماً، لم ينتهك عرضاً ولا حرمة لغيره عن طريق هذه النعم، ثم مع ذلك لم يحرم من هذه النعم مستحقاً غيره فيها... لم يحرم ذا قرابة، وذا جوار، وذا مترية، وصاحب حاجة - إنه عندئذ متزن في تصرفه، ومعتدل في سلوكه، ومستقيم في اتباعه طريق الله و وصاياه

### 3- في المعاملات :

والإنسان مع إنسان آخر ، بمثابة الإنسان الفرد المردد بين اتجاهين متقابلين: اتجاه النفس مطمئنة واتجاه النفس الأمارة بالسوء... فكذاك الإنسان مع الإنسان، هذا له اتجاه، وذاك له اتجاه آخر، هذا له عادات وآمال، وذاك له عادات وآمال، وهذا نشأ تنشئه خاصة، وذاك نشأ تنشئه مغايرة، فإذا كثر عدد أفراد الناس تعددت وجوه المغايرة بينها، وكثرت ضروب المفارقة والمقابلة.

### الجماعه العامه

وعلي نحو ما أراد الإسلام للإنسان الفرد من وحدة إتجاه في سعيه وسلوكه - أراد للكثرة العديدة من الناس - وهي الجماعه - نفس الغايه، ونفس السبيل... أراد لها أن تكون أمة واحدة، وأن يكون سعيها لذات الهدف والغايه وهي أن تكون أمة

واحدة، وأن يكون سعيها لذات الهدف أو الغاية، وهي أن تكون أمة واحدة، وما شرع باسم المعاملات هو السبيل لتحقيق هذا الهدف.

إن وحدة الجماعة والأمة لا تتوقف - فحسب - علي الأسباب التي تحيط بأفرادها بحكم البيئة، أو المواطن، أو إمكانيات العيش ... بل لا بد في تحقيق وجود أيه جماعيه، وجوداً قوياً ظاهراً، من وحدة الغاية والهدف؛ لأن (وحدة الغاية هي المركز الذي يتجمع الأفراد حوله، ويتكثرون من أجله، وتشدت الروابط إلي أخوة النفس و الروح، بعد التقاء علي الفكرة والمبدأ).

( القرآن الكريم - فيما أوصي به من أخلاق للجماعة - لم يوص إلا بعد أن حدد الغاية للجماعة التي يريدتها، والتي عمل علي تكوينها، و وصاياها هنا بعد ذلك لحفظ توازن هذه الجماعة)، وبالتالي لحفظ علاقات الأفراد فيها من التفكك والتلاشي.

والغاية التي حددها القرآن لجماعتها هي ( عبادة الله وحده ) يقول الله جل شأنه في كتابه الكريم:

( **وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا** ) (النساء: 36)

ويقول

( **قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ** ) (الزمر: 11)

ويقول

( **ذُكِرَ اللَّهُ رَبُّكُمْ إِلَّا إِلَهًا إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ** ) (102) **لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ** (103)) (الأنعام 102 و 103 )

ويقول

( **إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ** ) (الأنبياء: 92)

والإسلام إذ يحدد غاية الجماعة بعبادة الله وحده يدفع أفرادها إلي الشعور بالكرامة والسير في الحياة دون عائق من أو هام الوثنية في أي صورة من صورها، والشعور بالكرامة والانطلاق في الحياة من قيود الخرافة والشعوذة، واقتحام الصعاب فيها، دون انتظار لوضع خاص لكوكب من الكواكب كما كانت عادة العرب قبل الإسلام، و دون إذن وصي أو سيد، كما هي عادة العبيد و الأرقاء ... كل هذا مظهر لعبادة الله وحده.

وأصحاب هذا الشعور، أولئك الذين انطلقت نفوسهم من قيود الخرافة، والشعوذة، والوثنية في صورها المختلفة، من عبادة الأحجار إلي عبادة الأشخاص - يضيفون إلي قوتهم، كأصحاب سعي وحركة، قوة توجيه ويقظة وهم، لهذا وذلك، لا بد أن ينجحوا إذا كافحوا، ولا بد أن ينتصروا إذا خاصموا.

\* \* \*

ولكيلا يدخل عامل يضعف علاقات هؤلاء الأفراد في الجماعة، فنتجه نظرتهم إلي هذه العلاقات بعد أن ارتفعت نظرتهم جميعاً إلي الله وحده سبحانه ... وكذلك يتجه كفاحهم إلي صلات بعضهم ببعض، بعد أن تركزت فيما وراء أشخاصهم وذواتهم - لأجل هذا أوصي القرآن الكريم بما يحفظ قوة هذه العلاقات، وبما يديم نظرة الأفراد إلي الله، وبما يوجه كفاحهم لصالح أنفسهم كجماعة تريد السيادة لأجيالها المتتابة جيلاً بعد جيل.

أولاً : ( أوصي القرآن باحتفاظ الجماعة بسيادتها) وذلك بالأ يكون لأفرادها ولاء لغير بعضهم بعضاً، أي لا يكون للدخيل بينهم طاعة عليهم، ولا يرقى هذا الدخيل في نفوسهم درجة أن تكون له وصاية، أو إلي أن يعد مرجعاً في إبرام شئونهم يقول الله تعالى:

( **وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ** ) (التوبة: 71)

فعل الله سبحانه وتعالى تفضيل ولاية المؤمنين بعضهم علي بعض، وبالتالي إبعاد ولاية الأجنبي عليهم، بالاشتراك في خصائص وصفات، هي مقومات الجماعة الإسلامية، بالاشتراك في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الله ورسوله ... و ولاية أجنبي عليهم ستذهب بهذه الخصائص، وبالتالي ستذهب بشخصية الجماعة الإسلامية، فيومئذ لا يكون لها وجود، كجماعة إسلامية ... لأن هذا الأجنبي الذي يتولي أمرها لا يشاركهم في هذه الخصائص، ولذا لا يقرها، وربما يعاديها ويعمل علي إفنائها.

يوصي القرآن بذلك إن قبلت ولاية الأجنبي و وصايتة ابتعدت الجماعة عن الهدف والغاية التي اجتمعت حولها من قبل، وأصبحت أفراداً فقط مختلفي النزعة والغرض، لا جامع يجمعهم ولا رابط يؤكد الصلات بينهم.

**ثانياً:** ( أوصي القرآن كذلك - بعد إحاطة الجماعة الإسلامية بهذا السور الخارجي، وهو إبعاد ولاية الأجنبي عليهم - بإتباع سبيل (العدل) في الحكم بين الناس)، فيقول:

( إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۗ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا ) ( النساء : 85)

يوصي القرآن بالعدل في القضاء والفصل بين الناس، لأن أساس الاطمئنان بين الأفراد علي أنهم سواء في ظل الجماعة ... و أن الجماعة لذلك ليست حزباً تفصل بين فريق موالٍ وفريق مخاصم، بل هي رعاية عامة، وهذا الإطمئنان بالمساواة في العدل يوحى بدورة إلي تمسك مؤازرتها ضد عدوها الخارجي .

**ثالثاً:** ( أوصي القرآن بالتريث في قبول الأخبار المغرضة، وفحص شائعات السوء) يقول الله تعالى:

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحَبُوا عَلٰىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ )

#### ( الحجرات : 6 )

أوصي القرآن بذلك للإبقاء علي العلاقات سليمة صافية، فإن سرعة التصديق للأخبار والشائعات المغرضة - سواء فيما يتصل بفرد وفرد، أو بأسرة وأسرة، أو فيما يتصل بالأفراد والحكومة - لا تقف عند حد تمزيق وحدة الجماعة، بل من شأن هذه السرعة أن تثير فتنة قد تنتهي بخصومة عنيفة بين أبناء الجماعة، وبذلك تتحول الجماعة إلي طوائف متبادلة القصد والسعي ... وعندئذ تصير إلي فنائها، كجماعة.

**رابعاً:** ( أوصي بعدم استغلال الضعيف ... أوصي بعدم إستغلال اليتيم، ومن علي شاكلته كالأجير، والخدام وممن عليه رياسة بوجهه ما ) يقول الله تعالى:

( وَأَتُوا اليتيم أموالهم ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا الخبيث بالطيب ۖ وَلَا تَأْكُلُوا أموالهم إلىٰ أموالكم ۖ إِنَّهٗ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا )

#### ( النساء : 2 )

ولفظ الآية وإن كان نصاً في طلب تسليم أموال اليتامي القصر إليهم بعد بلوغ الرشد ، بدون ملاحظة ... لكنه يتجاوز ذلك إلي طلب تسليم الحقوق إلي أصحابها، الذين لهم وضع يشبه وضع اليتيم من الوصي عليه ... فصحاب الرياسة مطالب بتسليم حقوق زوجته و أولاده إليهم، وهكذا ... ثم يصف سبحانه وتعالى إمساك تسليم الحقوق إلي أصحابها الضعاف باستبدال الخبيث بالطيب، أي بترك الطيب وأخذ الخبيث بدلاً منه، ثم يصفه كذلك بأنه أكل، ثم بأنه علي ظلم، ثم بأنه ظلم غير عادي، بل هو ظلم كبير.

أوصي القرآن بذلك، لأ إستغلال القوي الضعيف يدل علي أن الجماعة التي جمعت القوي الضعيف علي هذا الوضع، ليست إلا وسيلة لتحقيق الأغراض الخاصة وليست رعاية عامة لحقوق كل فرد منها ... وإنما وجدت الجماعة للترابط في وحدة واحدة، والتعلق بهدف واحد، والاحتكام إلي ميزان واحد، هو العدل والتوازن.

خامسا : ( أوصي الإسلام بتقريب الفروق بين الأفراد، حتى لا يشعر الفقير بحرمانه، ولا المريض بعجزه، ولا الجاهل بحمقة، وسوء تصرفه، ولا الصغير بضعة وحادثة عهده، ولا الشيخ بوهن شيخوخته).

فأوصي صاحب الثروة بالإنفاق، وصاحب الصحة بالمعاونة، وصاحب المعرفة، بالتوجيه، والكبير برحمه الصغير، والصغير بتوجيه الكبير ... أوصي بذلك وبمثله، ولكنه شدد كثيراً في طلب بذل المال والإحسان لصاحب الحاجة من ذوي اليسار؛ وذلك لأن المال - من جانب - من شأنه أن يغري صاحبه علي عدم الإنفاق ... كما أن الحرمان من المال - من جانب آخر - من شأنه أن يثير القلق النفسي، والحسد والبغضاء في نفوس المحرومين ضد غيرهم من الموسرين يقول الله تعالى :

( وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ) (الرعد : 22)

ويقول

( أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ) (القصص : 54)

والإنفاق هنا ليس الزكاة ... وإنما هو إعطاء، وراء فريضة الزكاة، سراً أو علانية، وقد ربط الله سبحانه هنا بين الصفات التي تدعو إلي التحمل من صاحبها في سبيل إستقامه الأمور، وعلاج المشكلات، وإقامة الصلاة التي من شأنها أن تمسك المصلي عن الفحشاء والمنكر، والإنفاق في سبيل الخير وسبيل الله، وإبعاد السيئة عن طريق الحسنة - كلها خصائص تبعد الأزمات وتسد طريق الشر، ولكنها تتطلب الإحتمال وضبط النفس.

أوصي القرآن بهذا كله، وبغيره مما يتصل بشأن الجماعة العامة، هي الأمة، قاصداً أن يبقى علي التكتل والتجمع، وأن يحول دون العوامل المخربة ... والعوامل المخربة ترجع جميعاً إلي إختلال العدل، أو اختلال التعادل والتوازن في الجماعة، فالولاء للأجنبي، والتحيز في الفصل بين الناس، والمسارة في قبول الوشائيات، واستغلال القوي الضعيف، وعدم تقرب الغني لصاحب الحاجة : صاحب المال من الفقير، وصاحب المعرفة من الجاهل، والسليم من المريض، إلي غير ذلك - كل هذه أمور تؤدي إلي اختلال في توازن الجماعة لا محالة ... فرسالة القرآن للجماعة العامة هي رسالة توازن وتعادل ، كرسالته للفرد نفسه التي هي توازن وتعادل بين القوتين اللتين من شأنها السيطرة عليه.

## الأسرة

تلك هي وصايا القرآن الكريم للجماعة العامة ... فإذا انتقلنا في نطاق هذه الجماعة إلي الأسرة الصغيرة وجدنا وصايا القرآن نفسه إلي هذه الأسرة لا تخرج عن الهدف والغاية التي حددها للجماعة العامة، كما حددها من قبل للفرد الواحد، وهي رساله العدل، والتوازن، والإستقامة.

## بين الزوجين

فأخلاق القرآن للزوجين في الأسرة هي مجموع:

أ- أخلاق القرآن للفرد نحو نفسه.

ب- وأخلاقه للفرد نحو مجتمعه .

ج- وأخلاقه للفرد، كزوج أو كزوجة ، بالنسبة للطرف الآخر.

إذا الزواج اجتماع بين فردين، هو تزواج يجب أن يكون هدفه الإنسجام ... حتي يبدو أن تصرف كل واحد من الزوجين نحو الآخر تصرف ناشئ عن فرد واحد، ولغاية واحدة، وفي طريق واحد.

وهذا الحال درجة في السلوك والمعاملة تفوق درجة سلوك الفرد نحو مجتمعه علي العموم، ويقول الله تعالى :

( وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُتَفَكَّرُونَ )

(الروم: 21)

ويقول:

( هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا )

(الأعراف: 189)

( فجعلت هاتان الآيتان غاية الزواج : أن يسكن كل من الزوجين إلي الآخر ويطمئن إليه، ويستريح لوجوده معه ... ولا تكون حالة السكن هذه، وحالة الاطمئنان والراحة في اجتماع فرد بآخر، إلا إذا كان هناك انسجام بينهما، واقترب كل منهما نحو الآخر بسلوكه وطريقه في الحياة.

### الدين في جوهره دعوة إلي التقدم

كي نصل إلي أن الدين في جوهره دعوة إلي (التقدم) يجب أن نتفق جميعاً علي معنى (التقدم) ... (إن التقدم الذي نعنيه هنا هو التقدم في الإنسانيه ) ، وكذلك ما يقال علي (التخلف) يجب أن يكون تخلفاً في الإنسانيه كذلك . ومعني التقدم في الإنسانيه (أن يسير الإنسان في نمو الإنساني نمواً طبيعياً ، بحيث يصل في هذا النمو إلي المرحله التي تصور تصويراً واضحاً خصائص الإنسانيه في الإنسان ...) يجب أن يسير من الطفوله البشرية إلي فترة المراهقه ، ثم إلي فتره الرشد الإنساني ... فإذا جمد في مرحله الطفوله ، ولم ينتقل منها إلي مرحله المراهقه ثم إلي مرحله الرشد ، أو انتقل من مرحله الطفوله وبقي جامداً لا يتحرك في مرحله المراهقه – كان متخلفاً ... وذلك علي نحو نمو في الجانب البدني ، وخصائص الجسم البشري ... فهو إن نما بدنياً في طوله وفي خصائص الجسم، و وصل في هذا النمو إلي الصورة المعتاده لجسم الإنسان كان نموه في هذا الجانب نمواً طبيعياً، وإذا بقي في المرحله الأولى من النمو البدني ولم يتجاوزها حتي يصل إلي المرحله الأخيرة فيكون متخلفاً في خصائص الجسم البشري . وهنا يبقي في تفكيره ، وفي إدراكه ، وفي سلوكه، في دائره الطفوله البشرية... يكون كالقزم الذي بقي في المرحله الأولى من مراحل النمو البدني للإنسان .

(وإذا كان التقدم البشري هو وصول الإنسان في الخصائص الفكرية والوجدانية والسلوكية إلي مرحلة المراهقه - فالإسلام كما يصوره القرآن والأحاديث النبوية الصحيحة عبارة عن جملة من المبادئ في حياة الإنسان المؤمن بها تطبيقاً عملياً واضحاً لسار الإنسان في نموه حتماً إلي المرحله الأخيرة من الاكتمال الإنساني وهي مرحلة التقدم).

مبادئ الإسلام في جملتها تركز علي الجانب الاجتماعي في إنسان :

- 1- تركز علي التوعيه ( بعلاقه الإنسان بالإنسان ) .
  - 2- ثم علي تحويل الوعي إلي (سلوك عملي يباشره كل منهما في علاقته بالآخر).
- إن الإسلام بدعوته يريد للإنسان ألا يبقي أنانياً ، إذ بقاؤه أنانياً هو بقاؤه في مرحله الطفوله البشرية ... يريد له أن يكون اجتماعياً، إذا صيرورته إلي كائن اجتماعي يجعله ذا رشد في إنسانيته .
- إن دعوه الإسلام (محاولة لنقل الإنسان من دائرة التصرف الغريزي إلي دائرة التصرف الإنساني ..) والغريزة تدعوا دائماً إلي الإحتفاظ بالذات والحرص علي الذات، وتركيز النظرة في محيط الذات – بينما التصرف الإنساني هو تصرف يمتد إلي ما وراء الذات، ويخرج بالنظرة من محيط الذات إلي محيط الأفراد .



واذن فالمجتمع في قيامه ، وفي بنائه وفي بقائه سليماً قويا ... هو غاية الدعوة الإسلامية، فإن دعا الإسلام إلي الاحتفاظ بالحرمان، ونفر من الإعتداء علي ما للأفراد من نفس ومال وغرض ... فإنما يدعو إلي النظرة الإجتماعيه والتخلص من النظرة الفرديه، وهي تلك النظرة التي تتصل بالذات وحدها دون غيرها .

وإن دعا الإسلام إلي وجوب الرعاية، وإلي أن كل فرد في المجتمع راع وأنه مسئول عن رعيته - فإنما ينمي بهذه الدعوة علاقة الترابط بين الأفراد - وينقل نظرة بعضهم إلي بعض من تلك الدائرة الضيقة، وهي دائرة الذات وحدها، إلي الدائرة الواسعة التي تحيط بالأفراد جميعاً.

وإن دعا الإسلام إلي التهذيب في المعاملة والإحسان في السلوك - فإنما يريد بدعوته هذه أن يبقي علي النظرة الذاتية المنبثقة عن الغريزة والاحتفاظ بالذات وحدها .

### الإسلام مصدر رئيسي في بناء الحضاره وتقدمها

انتهي بنا الحديث الآن عن الدين في صلته بالحضاره البشرية - وعن الإسلام بوجه خاص - إلي أن الإسلام بتعاليمه ومبادئه، فيما يتعلق بتوجيه الفكر والوجدان و الإرادة في الإنسان ، له صلة وثيقة بالحضاره الإنسانيه في بنائها والإسهام فيها والحفاظ عليها .

انتهي بنا الحديث إلي أن الحضاره الإنسانيه ليست إلا حصيلة الإنتاج البشري في الفلسفه والقانون والدوله وأنظمة المجتمع والفن و الأدب و الأخلاق والسلوك، وأنه كلما كانت هذه الضروب و الأنواع من الإنتاج الإنساني في تعبيرها مجردة عن الهوي، وبعيده عن الإنحراف والتحيز كانت أدخل في بناء الحضاره في تنميتها.

كما انتهى بنا الحديث أيضا إلي أن عناية الإنسان في عباداته وفي معاملاته قصد إلي تجنب الإنسان الانحراف في خصائصه : إن في الوجدان، وإن في السلوك والعمل في الحياة .

وبهذا كله يعتبر الإسلام مصدراً رئيسياً في الحضاره البشرية وأنه دين حضاري ... علي معني أنه يوجه الإنسان للإنتاج في مجالات الحضاره المختلفه إنتاجاً صافياً معبراً أوضح تعبير عن مظاهر هذه الحضاره .

والإنسان المستقيم في تفكيره ، وفي عواطفه، وفي سلوكه، حتماً سيكون إنساناً يبغى الخير وحده في تجاربه العلمية وفي حصيلة هذه التجارب وفي استخدام هذه الحصيلة .

كي نصل إلي أن الدين في جوهره دعوة الي (التقدم) يجب أن نتفق جميعا علي معني (التقدم) ... (إن التقدم الذي نعنيه هنا هو التقدم في الإنسانيه ) ، وكذلك ما يقال علي (التخلف) يجب أن يكون تخلفاً في الإنسانيه كذلك.

ومعني التقدم في الإنسانيه (أن يسير الإنسان في نموه الإنساني نمواً طبيعياً ، بحيث يصل في هذا النمو الي المرحلة التي تصور تصويراً واضحاً خصائص الإنسانيه في الإنسان ...) يجب أن يسير من الطفوله البشرية إلي فترة المراهقه ، ثم إلي فترة الرشد الإنساني ... فإذا جمد في مرحله الطفوله ، ولم ينتقل منها إلي مرحله المراهقه ثم إلي مرحله الرشد ، أو انتقل من مرحله الطفوله وبقي جامداً لا يتحرك في مرحله المراهقه - كان متخلفاً ... وذلك علي نحو نموه في الجانب البدني ، وخصائص الجسم البشري ... فهو إن نما بدنياً في طولهِ وفي خصائص الجسم، و وصل في هذا النمو إلي الصورة المعتاده لجسم الإنسان كان نموه في هذا الجانب نمواً طبيعياً، وإذا بقي في المرحلة الأولى من النمو البدني ولم يتجاوزها حتي يصل إلي المرحلة الأخيرة فيكون متخلفاً في خصائص الجسم البشري .

وهنا يبقي في تفكيره ، وفي إدراكه ، وفي سلوكه، في دائره الطفوله البشرية... يكون كالتقزم الذي بقي في المرحلة الأولى من مراحل النمو البدني للإنسان .

مبادئ الإسلام في جملتها تركز علي الجانب الإجتماعي في لإنسان :

- 1- تركز علي التوعيه ( بعلاقه الإنسان بالإنسان ) .
- 2- ثم علي تحويل الوعي إلي (سلوك عملي يباشره كل منهما في علاقته بالآخر).

## الخاتمة

### - الإنتصار للمثل العليا

- ليس التاريخ، سوي رواية للحوادث التي قام بها البشر انتصارا لمثل عليا، فلولا تأثير تلك المثل لرسخت البداوة ودامت وبقي الانسان في دور الهمجية وما تمدنت امم الكون ابداء، والأمم بعد أن يعلو شأنها قد يبدأ دور انحدارها حينما تصبح عاطلة من مثل عال ، تستمد منه حيويتها ، ويوقف كل واحد من ابنائها نفسه عليه ، وليرحم الله الشاعر ابو الفدا الرندي القائل :

لكل شئ إذا ما تم نقصان فلا يغتر بطبيب العيش إنسان

- ولم تكن جزيرة العرب قبل الاسلام سوي ميدان قتال تاريخي واسع ، لما تأصل في العرب من طباع القتال الضاري ، وخير مثال لذلك حرب البسوس التي قامت بين أبناء العم ( بني بكر وبني تغلب ) من قبائل وائل بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، لتستمر أربعين عاما دون أن يخمد أوارها ، إلا بعد أن هلك الضرع و النسل والشباب القادرون علي القتال .

- فلما ظهر الإسلام ألف بين تلك القلوب المتناحرة ووجها ووجهها خارج الجزيرة ، فكانت طبائعهم القتالية خيرا عليهم ، فدانت لهم أمم الشرق والغرب بين انتصاراتهم المدوية.

- فلما عدم العرب من يحسن توجيه طاقاتهم القتالية إلي اعدائهم ، صوبوا أسلحتهم نحو بعضهم البعض ، بفعل الصفات القتالية المتأصلة فيهم ، فبدت تلك الصفات التي كانت سبب عظمتهم واتساع رقعه فتوحاتهم ، سببا لانحدارهم وفقدانهم لما فتحوا من ديار، ينهض دليلا علي ذلك ، فقدم لفرديوس الأندلس وفقدهم لصقليه وامارتي الجنوب الايطالي .

- فلا توجد أمة في التاريخ - سوي أمة العرب - بقيت مالكة لديار أكثر من 8 قرون ثم سلبت منها كما حدث في فردوس الأندلس ( 897هـ - 92هـ = 805 عاما بالتقويم الهجري ) ، أو بقيت مالكة لديار 3 قرون ثم سلبت منها كما حدث في صقلية والجنوب الإيطالي ( 484هـ - 212هـ = 272 عاما بالتقويم الهجري).

- لكنه الميل المتأصل في العرب للانقسام ، هذا إذا ما اضفنا له شراستهم في القتال كأمة عسكرية متميزة، لكن امتياز البأس الشديد لما صار بينهم ، كأن وبالا عليهم وتسبب في خروجهم بعد القرون الطوال من ديار شاسعه ، اخضعوها إخضاعا في أزمان قياسييه ، ونهضوا بها في مضمار المدينة ، وأسبغوا عليها من حضارتهم الزاهرة .

- فالعامل الذي توحدت بفضلها القبائل العربية المتناحرة في الجزيرة العربية ، هو شخصية أشرف الخلق وسيد الأولين والآخرين سيدنا محمد (صلي الله عليه وسلم) ، الذي بلغ رساله الإسلام التي وجهت طاقات العرب القتالية خارج جزيرتهم .

- والإسلام ما زال باقيا وسيبقى ابدا الدهر ، لكن اين تلك الشخصيات العبقريه التي تملك أن توجه همم القوم وطاقاتهم إلي ما يحقق مصالحهم التي هي مصالح الأمة ، فيكفي أن يكون القدوة قويا ليمنح الأمة مشاعر وامالا مشتركة ، وايمانا متينا يدفع الافراد للتسابق في التضحية بالنفس في سبيل انتصار الامة .

- ولقد كان العالم قبل الإسلام ، عالما متداعيا ، فقد العقيدة كما فقد النظام ، فلما ظهر الإسلام الحنيف ، حافظ علي تلك الطباع القتالية لعرب الجزيرة الذين دانو جميعا بالاسلام ، ووجهها لفتح ذلك العالم المتداعي ، فدانت لهم عاجلا امنا الفرس والروم سادة ذاك الزمان .

- ولأن الإسلام لا يكره أحد علي اعتناقه ، ولوجود الخلفاء - زمان الفتوحات - الذين يملكون العبقورية السياسية والإدارية ، هؤلاء الذين أدركوا بعبقريتهم أن النظم والأديان ليست مما يفرض قسرا ، فعاملوا أهل الديار التي فتحوها بلطف وحكمة ، تاركين لهم قوانينهم ومعتقداتهم.
- ولم يفرضوا عليهم سوي جزية بسيطة علي القادرين علي الكسب من الرجال وخدمهم ، مقابل حفظ الأمن ، فلم تعرف أمم الكون فاتحين رحماء متسامحين مثل العرب ، ولا دينا أكثر سماحة من دينهم
- ولقد كانت سماحة الإسلام وبساطته ، وحلم العرب وحرصهم علي الإلتزام بما أوصي به دينهم ، من الأسباب القوية لاتساع رقعته فتوحاتهم ، واعتناق كثير من الأمم لدينهم ونظمهم ولغتهم التي بقيت قائمة حتي بعد زوال سلطانهم عن مسرح التاريخ
- وهذه مصر الفرعونية الحضارة خير مثال ، لم يوفق فاتحوها من الهكسوس والفرس والأغارقة والرومان والبيزنطيين ، أن يزيحوا حضارتها لتسود فيها حضاراتهم.
- هذا فضلا عن بساطة نظم العرب واستعدادهم الكامل لتطويرها لتلائم احتياجات الشعوب المفتوحة المفتوحة ، وقد يكون هذا تفسيراً لتباين النظم الإسلامية - في بلاد الهند وفارس والجزيرة العربية ومصر وغيرها - اختلافا ملحوظا مع أن الشريعة واحده .
- فالعرف في الإسلام ، ما تعارف عليه الناس ، وما دام لا يتعارض مع روح الإسلام ، فالإسلام يامر عواهل الإسلام باقراره، لقول الحق في محكم الآيات : ( خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ )
- ولقد كانت أمم العرب التي بادت ، ذوي حضارات زاهرة ، وتشهد علي ذلك الآثار العظيمة التي تركتها حضارات قوم عاد في الأحقاف ، وقوم ثمود في الحجر ، وقوم سبأ في اليمن وغيرهم ، وصلاتهم التجارية الواسعة التي سجلها القرآن الكريم والتاريخ ، مع أمم الكون كالفراعنة والفرس والروم والهنود والصينيين .

### المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم
2. السنة النبوية ( الأحاديث الشريفة للنبي صلي الله علي وسلم )
3. الإسلام وقضايا الأمة – مهندس إبراهيم حورية – القاهرة – دار المعارف -2009
4. الدين والحضارة الشيخ محمد ابو زهرة - القاهرة -2007
5. هدية مجلة الأزهر – فضيلة الشيخ محمد الصادق ابراهيم عرجون - شعبان 1438هـ – العدد 20
6. الحضارة فريضة اسلامية –الأستاذ الدكتور محمود حمدي زقزوق – شهر رجب 1438 هـ
7. هدية مجلة الأزهر – منهج – رسالة – بحث وتحقيق فضيلة الشيخ محمد الصادق ابراهيم عرجون – عميد كلية اصول الدين الأسبق العدد 12
8. رقي الحضارات وثمره تفاعلها بين الإنسانية – القاهرة – دار السلام للنشر والتوزيع 2009
9. الحضارة الإسلامية محمود حمدي زقزوق – الإسلام وقضايا الحوار – وزارة الأوقاف المصرية 2002
10. إعلان مبادئ التعاون الدولي الثقافي ، الصادر عن المؤتمر العام لمنظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة في نوفمبر 1996